مركز حمورابي

هل يمكن للهند أن تنافس النفوذ الصيني المتنامي في أفريقيا؟

هل يمكن للهند أن تنافس النفوذ الصيني المتنامي في أفريقيا؟

بقلم: علي نوريان
باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

2 كانون الاول 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي
للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجـــــوز نشـــــر أي من هذه الابحـــــاث والدراســـات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

أثارت الزيارات المكثفة للمسؤولين الهنود الكبار إلى أفريقيا تكهنات حول محاولة تحدي التعاون الصيني-الأفريقي. لكن أساس التعاون الصيني-الأفريقي متين، ويشمل مجالات متعددة. كما أن المشاكل الداخلية للهند تقيد تطورها، مما يجعل من الصعب زعزعة التعاون الصيني-الأفريقي. التعاون المربح للجانبين هو الطريق الصحيح، وينبغي على الهند تعديل استراتيجيتها والمساهمة معاً في دفع التنمية العالمية.

الهند في أفريقيا: شريك تنموي أم منافس استراتيجي للصين؟

تدرك الجمهورية الهندية بعمق الخطط الاستراتيجية التي تنتهجها الصين في القارة الأفريقية، وتبذل جهوداً حثيثة للحفاظ على موقعها المرموق هناك. وخلافاً للاعتقاد السائد، فإن الهند تتفوق فعلياً على الصين في أفريقيا، إذ تتمتع بميزات عديدة منها القرب الجغرافي والروابط التاريخية العميقة، فضلاً عن وجود جاليات هندية مستقرة منذ عقود طويلة.

وفي المجال الإعلامي والترفيهي، تهيمن الهند على المشهد الثقافي في أفريقيا والعالم العربي من خلال شبكة ضخمة تضم ١٢٦ قناة فضائية تغطي منطقة المحيط الهندي. كما تُنتج صناعة السينما الهندية "بوليوود" ما يقارب ألف عمل فني سنوياً، وعلى الرغم من بساطة إنتاجها، إلا أنها تنجح في نشر الثقافة والقيم الهندية بأسلوب مؤثر.

وتتميز الهند في ثلاثة قطاعات رئيسية في أفريقيا: قطاع تقنية المعلومات والاتصالات، والقطاع الزراعي، وصناعة الأدوية. وتبرز قوتها خاصة في مجال التطبيقات التقنية البسيطة والعملية، مثل خدمات الدفع عبر الهاتف المحمول، التي تلقى رواجاً كبيراً مقارنة بالتقنيات الصينية المتطورة. كما تستفيد الهند من شبكاتها التجارية الراسخة في أفريقيا، حيث يندمج التجار الهنود في المجتمعات المحلية بشكل طبيعي، مما يجنبهم الحساسيات التي قد يواجهها نظراؤهم الصينيون.

تمتد رؤية الهند الاستراتيجية نحو القارة الأفريقية، حيث أسست "منتدى التعاون الهندي الأفريقي". وتتميز الهند بتفوقها على الصين في تنسيق لقاءات دول الجنوب العالمي. ويُنظر إلى الهند، من منظور عالمي، كدولة تنتمي بشكل طبيعي إلى مجموعة دول الجنوب،بخلاف الصين التي يثير وصفها لنفسها كـ"دولة نامية" استهجان المجتمع الدولي. وتختلف أدوار البلدين في علاقاتهما مع أفريقيا ودول الجنوب والعالم النامي، مما يجعل العلاقة بينهما تنافسية دون

إمكانية استبدال إحداهما بالأخرى.

وتباهي الهند بعلاقاتها الدبلوماسية المتميزة مع معظم دول العالم، مع استثناء ضمني للصين وباكستان وبعض الدول المجاورة. وعلى الرغم من غرابة هذا الوضع، إلا أنه حقيقة واقعة تعكس براعة الهند الدبلوماسية. فبالرغم مما قد يبدو عليها من تخبط وتعالٍ وعدم موثوقية، وعدم سعيها لإرضاء الآخرين، إلا أن نتائج سياستها الخارجية تأتي بنجاح لافت للنظر.

تتسم السياسة الخارجية الهندية بنهج براغماتي وشفاف لا يخشى المواجهة. فهي لا تتردد في إظهار قوتها وإعلان مواقفها بصراحة، حتى في أوقات الغضب أو عند ارتكاب الأخطاء، متجاهلةً التداعيات المستقبلية. ورغم حدة أسلوبها الدبلوماسي، إلا أن هذه الصراحة تمنحها جاذبية خاصة، إذ تجعل الدول الأخرى تشعر بأنها أقل خطورة لكونها واضحة في نواياها.

في المقابل، تتميز الصين بدقتها الشديدة وحساسيتها تجاه النقد، مع حرصها البالغ على الوفاء بالتزاماتها، رغم تعرضها لانتقادات حادة. تنطلق الصين من افتراض حسن النية لدى الجميع، وهو افتراض لا يتناسب مع واقع العلاقات الدولية، حيث تعاني معظم الدول النامية - باستثناء الصين - من مشكلات عديدة تؤثر على مصداقيتها. ويشكل النجاح في التعاون مع شركاء يواجهون تحديات كبيرة تحدياً حقيقياً. وفيما يتعلق بأفريقيا، فرغم ما تمتلكه من إمكانات واعدة، إلا أنها تواجه صعوبات جمة، ويمكن الاستفادة من التجربة الهندية في هذا السياق، والتي لا ينبغي التقليل من أهميتها.

هل يمكن للزيارات المكثفة للمسؤولين الهنود لأفريقيا أن تقوض حقاً العلاقات الصينية؟

بينما لا تزال آثار منتدى التعاون الصيني-الأفريقي حاضرة، قام كل من الرئيس ورئيس الوزراء الهندي بزيارة القارة الأفريقية، مما أثار تساؤلات عديدة:

هل تسعى الهند حقاً لتطوير التعاون مع أفريقيا أم لديها أجندة أخرى؟ كيف سيؤثر التنافس الهندي-الصيني في أفريقيا على مستقبل القارة؟ ما الذي يختبئ وراء حماس التعاون الهندي-الأفريقي؟

للهند تاريخ طويل مع أفريقيا، لكن اهتمامها بالقارة ازداد بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة. من تقديم القروض إلى زيادة عدد السفارات والقنصليات، يبدو أن الهند تسعى جاهدة لتوسيع نفوذها في أفريقيا. ومع ذلك، لا تزال الهند تواجه مشاكل هيكلية اقتصادية واجتماعية بارزة،

مما يثير التساؤل حول ما إذا كانت استراتيجية "الخروج" هذه نابعة من نية صادقة أم أن هناك حسابات أخرى؟

يرى البعض أن الهند تحاول تقليد نموذج التنمية الصيني من خلال تعزيز تعاونها مع الدول النامية لتحسين مكانتها على الساحة الدولية. لكن يبدو أن الهند تغفل نقطة جوهرية: نجاح التعاون الصيني الأفريقي لم يتحقق بين ليلة وضحاها، بل بُني على أساس الثقة المتبادلة والتعاون العملي على المدى الطويل.

هل يمكن زعزعة الأساس المتين للتعاون الصيني الأفريقي؟

إن التعاون بين الصين وأفريقيا ليس مجرد مساعدات اقتصادية بسيطة، بل يشمل مجالات متعددة كالبنية التحتية والتجارة والاستثمار والثقافة والتعليم والرعاية الصحية. من سكة حديد موموباسا-نيروبي في كينيا إلى سكة حديد أديس أبابا-جيبوتي، ومن التعاون في التكنولوجيا الزراعية إلى إرسال البعثات الطبية، تنتشر ثمار التعاون الصيني الأفريقي في جميع أنحاء القارة الأفريقية، مما أدى إلى تحسين ملموس في حياة السكان المحليين. هذا التعاون ليس مجرد تدفق أحادي الاتجاه، بل يستند إلى مبادئ المساواة والمنفعة المتبادلة لدفع التنمية المشتركة. تلعب الصين دوراً نشطاً في الدفاع عن مصالح أفريقيا على مستوى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وتدفع المجتمع الدولي للاهتمام بالقضايا الأفريقية، وهو ما يصعب على الهند تحقيقه. لقد تعمق التعاون بين الصين وأفريقيا ليصل إلى النسيج الثقافي والاجتماعي لكلا الطرفين، مما شكل رابطاً لا ينفصم.

فهل تستطيع طموحات الهند الصمود أمام اختبار الواقع؟

لطالما تاقت الهند لأن تصبح قوة عالمية، وهذا الطموح في حد ذاته أمر مشروع. لكن يبدو أن الهند قد بالغت في تقدير قوتها، كما قللت من تقدير عمق التعاون الصيني الأفريقي. إن المشاكل الداخلية في الهند، مثل نظام الطبقات الاجتماعية وعدم التوازن في التنمية الإقليمية، تعيق تطورها الاقتصادي والاجتماعي. كما أن اعتمادها المفرط على الدعم الأمريكي يجعل استراتيجيتها الدولية تفتقر إلى الاستقلالية. في مثل هذه الظروف، تبدو رغبة الهند في تحدي النفوذ الصيني في أفريقيا مجرد أمنية من طرف واحد.

الجنوب العالمي: التعاون المثمر للجميع هو الطريق الصحيح

يشهد المشهد التنموي العالمي حالياً تغيرات عميقة، حيث يزداد التعاون بين الدول النامية أهمية يوماً بعد يوم. وقد أصبح مفهوم "الجنوب العالمي" تدريجياً مصطلحاً محورياً في مجال السياسة والاقتصاد الدولي. تستضيف الهند قمة "صوت الجنوب العالمي" في محاولة منها لتولي دور قيادي بين الدول النامية، إلا أن نتائج هذه المحاولة لا تزال غير واضحة. إن التعاون الحقيقي ينبغي أن يقوم على مبادئ المساواة والمنفعة المتبادلة والتنمية المشتركة، وليس على تشكيل تحالفات لخدمة المصالح الذاتية. إن نجاح منتدى التعاون الصيني الأفريقي قد أرسى نموذجاً يُحتذى به في التعاون بين الدول النامية.

نظرة مستقبلية: التعاون وليس المنافسة

إن تعزيز التعاون بين الهند وأفريقيا ليس أمراً سيئاً لتنمية القارة الأفريقية. فالمنافسة البناءة يمكن أن تعزز التنمية، ولكن بشرط أن تكون قائمة على أسس عادلة ومنصفة. وبدلاً من محاولة "تقويض" العلاقات القائمة، من الأفضل التفكير في كيفية العمل مع الصين لتقديم المزيد من المساهمات في تنمية أفريقيا. وقد أظهرت تجربة التعاون الصيني الأفريقي أن كسب ثقة واحترام الدول الأفريقية لا يتحقق إلا من خلال المساعدة المخلصة في تنمية اقتصاداتها وتحسين معيشة شعوبها. وفي المستقبل، نأمل أن تدرك الهند الواقع وتعدل استراتيجيتها للعمل مع الصين والدول الأخرى من أجل بناء نظام دولي أكثر عدلاً وإنصافاً، والمساهمة في دفع عجلة التنمية العالمية المشتركة. لقد أبحرت سفينة التعاون الصيني الأفريقي بالفعل، أما ما إذا كانت الهند ستتمكن من تحديد مسارها الصحيح، فهذا ما سيثبته الزمن.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة